الجزء الأول

د. موسى أبو مرزوق

مشوار حياة

ذكريات اللجوء والغربة وسنوات النضال

إعداد: شاكر الجوهري

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الرابع

خطّان متوازيان
عقيدة إسلامية وكفاح مسلّح

خطّان متوازيان
عقيدة إسلامية وكفاح مسلّح

حين تشكلت الخلايا الأولى لجماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، لم يكُن يوجد في القطاع أيُّ تنظيم لأيٍّ من فصائل الثورة الفلسطينية، بما في ذلك حركة فتح، التي كانت بداياتها في القطاع أواسط سنة 1958، وبعد معركة الكرامة في الأردن في 1968/3/21. وكان من أبرز الأسماء التي كانت لها علاقة بهذه الحركة في ذلك الوقت أبو علي شاهين؛ وهو من أسرة مجاهدة، قُتِل والده سنة 1956، وقُتِل أعمامه برصاص جيش الاحتلال بعد أن أوقفوهم على جدار مدرسة (ب) الإعدادية في مجزرة بشعة في حقّ مجموعة من العُزل. وعلى ذلك، لم يكُن هنالك في غزة سنة 1967 أيُّ تنظيم يمارس الكفاح المسلح، وإنْ كان بعض ضباط جيش التحرير الفلسطيني قد بدأوا بإقامة تنظيم شعبي للمقاومة. وحين تبلور الكفاح المسلح، كانت الحركة الإسلامية تتبلور على خط موازٍ لدى الخلايا الأولى للجماعة. وللمفارقة، فإن فكر الذين مارسوا الكفاح المسلح كان وطنياً خالصاً، أو قومياً مسانداً، وبعيداً عن الحركات الإسلامية.

ويُقر أبو مرزوق أن بعض مؤسسي حركة فتح كانوا قد خرجوا من صفوف الإخوان المسلمين؛ لأن الجماعة كانت في خصام سياسي مع عبد الناصر في ذلك الوقت المبكر، وبالتالي، فهؤلاء خرجوا من الجماعة إلى فكرة "الوطنية الفلسطينية"، على أساس أنها الفكرة الجامعة لكل مكونات الشعب الفلسطيني. وفي وقت لاحق، وبعد أن مارست فتح الكفاح المسلح، التحق بها الكثير من أعضاء الجماعة كإبراهيم عاشور، وإبرهيم المشوخي، ود. أحمد نوفل، ود. عبد الله عزام رحمه الله وآخرون، وما سُمّي بقواعد الشيوخ في الأردن، كما فعل الكثير من أعضاء الأحزاب السياسية الأخرى. وهو ينفي أن تكون الجماعة قد اعترضت في ذلك الوقت على الكفاح المسلح، أو أن تكون قد رفضت الاعتراف بأن الذين يضحُّون بأرواحهم في القتال مع قوات الاحتلال الإسرائيلي شهداء. ويعلِّق أبو مرزوق على ذلك بالقول: كانت التصريحات تُضخَّم، ولم يكُن للإسلاميين صوتٌ إعلامي أو

منبرٌ سياسي يعبِّر عن مواقفهم، كما كان هناك تشويهٌ مقصودٌ لهم. ولذلك، كانت تُضخَّم المواقف بهدف التشهير بالإسلاميين الذين التحقت أعداد كبيرة منهم في ذلك الوقت بمعسكرات فتح، ولكن وفي الوقت نفسه كان هناك تحفظٌ على الاقتتال الفلسطيني – العربي.

وتدليلاً على ذلك، يقول أبو مرزوق إن الإخوان المسلمين لم يقفوا بجانب النظام في الأردن، أو بجانب الثورة الفلسطينية في أثناء المواجهات التي بدأت بين الجانبين مطلع سنة 1969، وظلّت تتصاعد حتى أيلول/ سبتمبر 1970. وهو يعدّ مشاركة د. إسحاق الفرحان؛ الأمين العام السابق لحزب جبهة العمل الإسلامي المنبثق عن جماعة الإخوان المسلمين في الحكومة الأردنية، التي شكّلت برئاسة وصفي التل في أعقاب أحداث أيلول/ سبتمبر "اجتهاداً شخصياً" لم يُقرّه إخوان الأردن عليه.

نشأة تنظيم فتح:

ظهرت في الساحة الفلسطينية عدة تنظيمات خرجت من تحت رداء جماعة الإخوان المسلمين، منها:

1. حزب التحرير الإسلامي، الذي كان مؤسسه الشيخ تقي الدين النبهاني عضواً في جماعة الإخوان المسلمين.
2. حركة الجهاد الإسلامي، التي كان معظم قادتها الأوائل في تنظيم الإخوان، ومنهم د. فتحي الشقاقي؛ الأمين العام الأول للحركة، ود. محمد الهندي، وعبد العزيز عودة، وتيسير الخطيب وغيرهم.
3. حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، حيث كان معظم مؤسسيها الأوائل من الإخوان المسلمين، ومنهم: خليل الوزير، وصلاح خلف، ومحمد يوسف النجار، وكمال عدوان، وعبد الفتاح حمود، وسليم الزعنون، ورياض الزعنون، وأسعد الصفطاوي، وفتحي البلعاوي، ورفيق النتشة، وصبحي أبو كرش، وعبد الله صيام، وسعيد المزين، ومعاذ عابد، وحمد العايدي، وعبده أبو مراحيل، وغالب الوزير، وأحمد عبد المجيد الأسمر، وعوني القيشاوي، وماجد المزين، ومحمد الإفرنجي.

أما ياسر عرفات فقد كان صديقاً للإخوان، وإن ادعى عدد لا بأس به من الإخوان القدامى أنه منهم، لأنه قام بتدريبهم على السلاح وحرب العصابات ضدّ القوات البريطانية سنة 1951، وهي السنة نفسها التي تعرف فيها على صلاح خلف، حينها كان يُشيعُ أبو عمار رحمه الله بين الطلاب أنه من الإخوان لكسب أصواتهم. ونجح على قائمة الإخوان من سنة 1952 حتى سنة 1956.

وباستثناء فاروق القدومي، ومحمد أبو ميزر اللذين كانا عضوَيْن في حزب البعث، فإن محمود عباس كان إسلامياً، وعمل سكرتيراً لمصطفى السباعي المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في سورية، وهناك من يقول إنه: كان من الإخوان وهذا غير صحيح. كما كان المرحوم خالد الحسن عضواً في حزب التحرير الإسلامي.

بدأت فكرة فتح في شُعب الإخوان مبكراً منذ سنة 1954، وخصوصاً أعضاء الجهاز العسكري مثل خليل الوزير، وحمد العايدي، ومحمد الإفرنجي. وكذلك ممن كان في أسرة الجهاد التي كان يرأسها صلاح خلف، ومعه أسعد الصفطاوي، وسليم الزعنون، وكمال عدوان، وعبد الفتاح حمود من الضفة، وقد انضمَّ إليهم في أثناء الدراسة في القاهرة.

سنة 1960 تمَّ حسمُ قضية الازدواجية بين عضوية الإخوان وفتح، يقول أبو مرزوق: حيث تمَّ التخيير بين عضوية فتح أو الإخوان المسلمين، وكانت القاعدة التنظيمية الأولى لحركة فتح نشأت في الكويت سنة 1959، حيث تمّ تشكيل الحلقة الأولى من خليل الوزير بالإضافة لآخرين جاؤوا من مناطق فلسطينية مختلفة منهم: عادل عبد الكريم، وعبد الله الدنان، وفاروق القدومي، وصلاح خلف، وسليم الزعنون، إضافة إلى ياسر عرفات.

روايات النشأة قد اختلفت، فصلاح خلف يقول إن البداية كانت في تشرين الأول/ أكتوبر 1959، ويقول خليل الوزير إنها كانت سنة 1957، فيما يقول خالد الحسن إنها كانت في سنة 1962، ويبدو أن كل واحد منهم يؤرّخ للبداية اعتباراً من تاريخ انضمامه لهذه الفكرة.

كانت مجموعات العمل الأولى كالتالي:

1. مجموعة الكويت: خليل الوزير، وياسر عرفات، وصلاح خلف، وعبد الله الدنان، وعادل عبد الكريم.
2. مجموعة قطر: محمد يوسف النجار، وكمال عدوان، ومحمود عباس، ورفيق النتشة.
3. مجموعة غزة: فتحي البلعاوي، وأسعد الصفطاوي، وسليم الزعنون، وعوني القيشاوي.

ومعظم هؤلاء كانوا في جماعة الإخوان المسلمين باستثناء ياسر عرفات.

مذكرة خليل الوزير:

قدَّم خليل الوزير مذكرةً إلى هاني بسيسو، وهو المراقب العام للإخوان المسلمين في فلسطين، ضمنها فكرة التنظيم الجديد، وملخصها:

1. أن يتبنى الإخوان المسلمون الفلسطينيون إقامة تنظيم خاص بجانب تنظيمهم بحيث لا يحمل لوناً إسلامياً في مظهره وشعاراته، وإنما يحمل شعارَ تحرير فلسطين والكفاح المسلح.
2. أعضاء هذا التنظيم الجديد من الإخوان وغيرهم، ولكن عليهم أن يخلعوا ثيابهم الحزبية الإخوانية وغيرها.
3. التنظيم الجماهيري والعمل المسلّح سيُبقِي القضيةَ حيةً ويقطع الطريق على تصفيتها، خصوصاً وأن الإخوان وغيرهم ملاحقون من قِبَل عبد الناصر، ولفكِّ الطوق والحصار عنهم، لا بدّ من الفكرة الجديدة.

رُفِضت الورقة المقدمة، وتمَّ حسمُ موضوع العضوية والانتماء التنظيمي، الذي تأخّر 3 سنوات من سنة 1957 إلى سنة 1960 (اجتماع القاهرة الأول)، وكان الكثير من الإخوان انضموا إلى هذا التشكيل (الذي اقترحه الوزير أي حركة فتح) على أساس أنه مُقَر من قِبَل جماعة الإخوان المسلمين.

أبو مرزوق والتواصل مع العمل الفدائيّ:

الشاب موسى أبو مرزوق كانت عواطفه دائماً مع العمل الفدائي الفلسطيني، ومع الثورة الفلسطينية في المواجهات التي خاضتها سواء في الأردن، أم في لبنان، أم في سورية، وذلك بالرغم من ملاحظاته على بعض الممارسات السلبية لفدائيي فصائل الثورة.

كان موسى قد غادر قطاع غزة أواخر سنة 1969، وكانت المرة الأولى التي تطأ قدماه فيها أرض الأردن. وعندما غادر القطاع كان قد بدأ حواراً مع الخلايا الأولى لحركة فتح، التي لم تكُن قد بلورت عملها المسلّح داخل القطاع بعد، وإنْ كان سيهتم بالعمل المسلّح بعضُ الفاعلين في قوات التحرير الشعبية، ويقول: ما زال في ذاكرتي الصديق العزيز سعدي أبو حشيش، وقد أُصِيب في إحدى العمليات وتمّ اعتقاله ولم يخرج من السجن إلا بعد اتفاقيات أوسلو Oslo Accords. ويقيم حالياً في الزقازيق بجمهورية مصر العربية، وكم كان سعدي مفعماً بالثورة وبعلاقاته الحميمة مع الجميع.

إعادةُ تنظيم جماعة الإخوان المسلمين:

كانت فتح في ذلك الوقت، والجبهة الشعبية بالذات، قد بدأتا بالنمو السريع في القطاع والضفة الغربية؛ وذلك لوجود امتداد تنظيمي قوي لهما في الخارج، يمدهما بالدعم الفكري والمالي والسلاح، وكانتا قد استكملتا شروط التحرك. أما جماعة الإخوان المسلمين في ذلك الوقت فلم يكُن لها أي صلة بأي منظمات في الخارج، وكان عدد أعضائها محدوداً، يشكل بدايات تنظيم لا أكثر.

ولذلك فإن الكفاح المسلّح لم يكن وارداً في حسابات الجماعة التي كان على رأسها الشيخ أحمد ياسين اعتباراً من أواخر سنة 1968. ولم يكُن الشلل قد امتدّ إلى كل أطرافه كما انتهى إليه الحال لاحقاً. فقد كان في ذلك الوقت يستطيع المشي على قدميه، وكان يعمل في التدريس بالمدارس الحكومية، بعد تخرجه من المدرسة الثانوية.

ولتعيين الشيخ ياسين قصةٌ تُروى؛ فقد كان طلبه قد رُفِض أول الأمر من قِبل مستشار الحاكم العام لقطاع غزة، ورئيس البعثة التعليمية المصرية بالقطاع محمود شهاب، لكن الفريق أحمد سالم الحاكم العام لقطاع غزة الذي كان لديه ولد معاق، قرر تعيين ياسين مدرّساً سنة 1958. والشيخ ياسين ليس بعالم شرعي، كما أن ثقافته ليست أزهرية كما يُشاع. فقد ثقّف نفسه بنفسه، وعمل في الإطار الاجتماعي والسياسي من منظورٍ إسلامي. ولكن في سنة 1964 تقدم للثانوية العامة مرة ثانية، ونجح وتمَّ قبوله في جامعة عين شمس قسم لغة إنجليزية، بالرغم من أن اعتقاله في مصر سنة 1965، حالَ بينه وبين إكمال تعليمه الجامعي، فقد تمَّ إخراجه من السجن مباشرةً إلى غزة.

في أثناء البدايات الأولى لتنظيم الجماعة—يواصل أبو مرزوق—انحصر عملها في الإصلاح الاجتماعي والدعوة للإسلام داخل المجتمع الفلسطيني، وذلك من خلال وسائل اتصال بدائية تعتمد على الاتصال والاحتكاك الشخصي، لا عبر مؤسسات وبرامج ومنظمات.

الارتحال إلى مصر:

عندما قرر أبو مرزوق الخروج من القطاع لإكمال الدراسة الثانوية، ذهب لوداع الأستاذ أحمد ياسين وجلسا يتحدثان عن المستقبل، وتمّ حينها الاتفاق على الذهاب إلى مصر، للالتحاق بالكلية الحربية، حيث كانت مصر تسمح بدخول الكليات الحربية لأبناء قطاع غزة. وحيث لم يكُن هناك اتصالات ما بين الأردن وغزة، أو مصر وغزة، ولم تكُن هناك أوضاعٌ تنظيمية مبلورة بين تلك الأجزاء، إلا أن الشيخ أحمد تذكّر أخاً يقيم في عمّان، يعمل في التحاليل الطبية، وكان طبيباً بيطرياً اسمه د. أحمد العرجا فتعرف عليه أبو مرزوق في أثناء مروره بالعاصمة الأردنية. في اليوم التالي للقاء الوداع مع الشيخ أحمد ياسين، كانت السيارة تقل أبو مرزوق إلى القدس للصلاة، ومنها إلى جسر الملك حسين عابراً فلسطين إلى الأردن.

حين غادر الشاب موسى أبو مرزوق مخيم اللاجئين في رفح، لم تكُن عمّان هي الهدف، وإنما القاهرة ومصر، حيث كان يريد الذهاب إلى حيث أخوه جمعة

الذي كان يقيم ويعمل في مدينة شبين الكوم في محافظة المنوفية، وهي تجاور قرية ميت أبو الكوم التي أنجبت الرئيس المصري الأسبق أنور السادات. فقد كان عبد الناصر قد سمح بتعيين فلسطينيي قطاع غزة في الوظائف العامة بمصر. وكان جمعة قد عُيِّن موظفا إدارياً في وزارة التربية والتعليم المصرية. وفي مدرسة شبين الكوم قدم موسى امتحانات الثانوية العامة المصرية، وحصل عليها. غير أنه قبل أن يذهب إلى مصر، أقام لمدة شهرين في الأردن بصحبة أخيه محمود الذي كان يراه للمرة الأولى منذ أن غادر رفح إلى الأَسْر الإسرائيلي في أعقاب النكسة.

تنبؤٌ مبكّر:

على الرغم من صغر سنّه، حاول موسى خلال هذين الشهرين تفهُّم الوضع الفلسطيني في الأردن، ساعده على ذلك وجود محمود في قواعد الفدائيين حول مدينة السلط. وقد خلص من مشاهداته إلى قناعة راسخة بأن العمل الفدائي لن يُسفر عن نتيجة ملموسة!

لماذا؟ يجيبك على اندهاشك قائلاً: "لاحظت في قواعد الفدائيين أنهم عندما يُعدّون الطعام، كانوا يأخذون احتياجاتهم من حقول المزارعين المجاورة. وكان لي اعتراض على ذلك، إذ كيف سيعيش الفلاح وما هو مستقبل علاقته مع الفدائيين؟"، ولذلك فقد قال لأخيه ورفاقه: "إذا لم يكُن وجودكم موضع ترحيب، فكيف يمكن لكم الاستمرار في البقاء بين الناس، وإذا انعدمت الحاضنة الشعبية لا مستقبل لكم، ذلك أن الحاضنة الشعبية أهم شروط الاستمرارية".

إلا أنه، وبالرغم من الانتقادات التي صدرت عنه، وتقييمه السلبي لبعض الممارسات، كان للعمل الفدائي رصيد كبير لديه، باعتباره الطريق الوحيد الذي يمكن أن يحرّر البلاد ويعيد حقوق الشعب الفلسطيني المغتصَبة. ولذلك، فقد كانت عواطفه مع الفدائيين، مهما اختلف التقييم، أو الوجهة. وقد كانت عاطفته معهم في أثناء أيلول/ سبتمبر 1970، وفي لبنان، وفي أثناء الحرب مع سورية. غير أنه يلاحظ أنه في لبنان لم يتم الاتّعاظُ من تجربة الأردن، وقد كانت السلبيات أكثر عمقاً.

الانقلاب على قائد جيش التحرير:

كان موسى قد زار أخاه محمود الذي انتقل إلى لبنان غير مرة. وقد شهد في إحدى المرات فصول الانقلاب الذي قاده أخوه مطيحاً بالعميد مصباح البديري القائد الأسبق لجيش التحرير الفلسطيني، ما أفضى إلى الحكم عليه بالإعدام في سورية، بعد أن كان الرئيس حافظ الأسد قد منحه وساماً ورتبة أعلى جرّاء البطولة التي أبداها في أثناء حرب رمضان 1973.

الانقلاب على مصباح البديري لم يتم في يوم وليلة، ولكنه تشكّل من عدة فصول بدأت كما يقول العميد محمود بلقاءٍ غير متوقع بينه وبين عبد الحليم خدام وزير خارجية سورية في ذلك الوقت، الذي سيصبح لاحقاً النائب الأول لرئيس الجمهورية، قبل أن يغادر سورية معارضاً للنظام.

بعد أن حصل الرائد محمود على وسام الشجاعة من قِبَل الرئيس حافظ الأسد، تمَّت مكافأته بتعيينه قائداً لقوات جيش التحرير الفلسطيني (قوات حطين) في لبنان، التي كانت تتبع قيادة العميد مصباح البديري في دمشق. ولما كان الوسام اشتمل على سنتي أقدمية، فقد تمت ترقية محمود إلى رتبة مقدَّم.

وذات يوم من سنة 1975، وصل عبد الحليم خدام إلى بيروت وبرفقته زهير محسن الأمين العام—آنذاك—لمنظمة الصاعقة، الذي كان يشغل كذلك رئيس الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية. وطلب خدام من محمود نقل كتيبة من كتائب جيش التحرير الفلسطيني من خط التماس مع قوات حزب الكتائب إلى مخيمي صبرا وشاتيلا بدعوى وجود خارجين على القانون يتوجب القبضُ عليهم. ولما كانت سورية تحضّر في ذلك الوقت لمعركة فاصلة مع قيادة منظمة التحرير، فقد امتنع محمود عن تنفيذ طلب خدام مبرراً ذلك بضرورة تلقيه أمراً بذلك من رئيس الأركان العميد مصباح البديري، رافضاً تلقّي مثل هذا الأمر من زهير محسن أيضاً، مبدياً استعداده في الوقت نفسه بتكليف حراساته الخاصة بالقبض على المخالفين للقانون. وانتهى الجدال بين خدام ومحمود بتساؤل الأول: "ليش إحنا جايبينك هون؟"، وردّ الثاني "أنا هنا للدفاع عن الشعب الفلسطيني". وعندها قال خدام مهدِّداً: "لقد أعذر من أنذر، اللهم اشهد أني قد بلغت". فما كان

من محمود إلا مغادرة المكان رافضاً طلب زهير محسن مواصلة الحديث وإتمام شرب كوب الشاي. وعندما استمع ياسر عرفات إلى رواية محمود بحضور المرحوم صلاح خلف، تساءل الأخير "هل أنت مجنون؟". وأضاف "كان يفترض أن تداري الموقف؛ لأن السوريين لن يتركوك حيّاً بعد الآن".

وبعد ساعتين من اللقاء العاصف مع خدام، كانت كتيبة من منظمة الصاعقة التي يقودها زهير محسن تنفذ مهمة ضرب بعض المراكز التابعة لحركة فتح ومكاتب جريدة "بيروت المساء" التي كان يصدرها حزب البعث العراقي، وتمّ يومها إنقاذ شفيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير في بيروت من تحت الأنقاض.

وفي اليوم ذاته، صدرت الأوامر للعميد مصباح البديري بالتحرك إلى بيروت لاستبدال المقدّم محمود أبو مرزوق من قيادة قوات جيش التحرير في لبنان. وعندما رفض ثلاثة ضباط تولّي القيادة بدلاً عنه، واستقال اثنان منهم من الجيش، أنشأ البديري بأوامر من دمشق مركزاً للقيادة والأركان في لبنان، أخذ شخصياً يدير عمل كافة القوات منه. وفي تلك الأثناء تصاعد الموقف على نحو خطير بين القيادتين السورية والفلسطينية، وتصاعدت حدة الحرب الكلامية بينهما، وتحركت قوات سورية على عدة محاور لضرب قيادة المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها قيادة فتح في لبنان. وصادف أن كان عرفات في السعودية، واتخذت لجنة قيادية برئاسة المرحوم أبو صالح وعضوية كل من أبو إياد، وأبو جهاد، وأبو الهول قراراً بالقتال ضدّ القوات السورية المتقدّمة. فأصدر البديري أمراً باستنفار قوات جيش التحرير الفلسطيني لمؤازرة القوات السورية، وعندها اضطر المقدّم محمود أبو مرزوق لإصدار أوامره بسحب الفصيل المكلّف بحراسة البديري. وطلب من المقدّم ذيب سرحان قائد قوات جبهة التحرير العربية القبض على البديري حتى لا يسجل سابقة يقوم بموجبها الجنود باعتقال قائدهم. وأصدر التعليمات بألا تتلقى القوات أيَّ أمر من سواه. وتمّ إرسال البديري إلى أبو إياد، الذي طلب منه التصريح باستنكار ما فعله السوريون، لكنه رفض كونه ضابطاً في الجيش السوري لا يستطيع أن ينتقد قيادته السورية.

وجرّاء التداعيات اللاحقة التي قُتِل فيها اثنان من الضباط البعثيين في جيش التحرير، غادر بقية الضباط البعثيين إلى سورية ومعهم بعض الجنود، فيما بقي تحت قيادة المقدّم محمود أبو مرزوق 80% من أصل القوات بكامل المعدات والأسلحة. وبعد ذلك، حضر عبد الحليم خدام إلى بيروت وتفاهم مع محمود على إطلاق سراح البديري.

الجماعةُ في مصر:

في مصر لم يكُن هناك تنظيم قائم للإخوان المسلمين. كان عبد الناصر قد فكّك التنظيم بشكلٍ شبه كامل، وكان كل رموزه في السجون، وكانت المساجد تخلو من الشباب.

هكذا وجد الشاب موسى الوضع عندما وطأت قدماه أرض مصر لأول مرة. وبعد أدائه صلاة الفجر في مسجد داخل مركز أمني يقع أمام منزل شقيقه جمعة مباشرة، سأله الشيخ: هل أنت طالب في الأزهر؟ فأجابه بلا، فسأله: هل أنت طالب في المعاهد الدينية؟ فأجابه بلا. وهنا قال له الشيخ: "أُمال أنت بتصلي في المسجد ليه؟ صلي في بيتك". وبعدها أدرك موسى أن هذه نصيحة هدفها عدم تعريضه للسجن. وبعد عدة أعوام من الإقامة في مصر، أدرك موسى أنه كان خاضعاً للمراقبة، غير أن هذه المراقبة لم تفلح في تحديد هويته، حيث إن المصريين لم يعرفوا آنذاك وضعه التنظيمي في جماعة الإخوان المسلمين، وموقعه القيادي في حركة حماس، إلا عندما قام بزيارةٍ رسمية لمصر سنة 1994 بوصفه رئيساً للمكتب السياسي لحركة حماس.

بعد انتهاء أبو مرزوق من دراسة الثانوية العامة، تمَّ إلغاء دخول الفلسطينيين للكليات الحربية، وبالتالي قدّم للتنسيق ودخل كلية الهندسة، وهي تقع في المدينة نفسها التي كان يقيم فيها مع شقيقه جمعة.

بعد التحاقه بجامعة المنوفية في أيلول/ سبتمبر 1971، كان موسى ينشط منفرداً بين المصريين، لعدم وجود أعداد كافية من الفلسطينيين في شبين الكوم، ذلك أن سياسة الجسور المفتوحة بين قطاع غزة ومصر اعتُمِدت ابتداءً من

مطلع السبعينيات، وأصبحت الجامعات المصرية تقبل أعداداً متزايدة من الطلبة الفلسطينيين. وعندها انصرف موسى للعمل في صفوف الشباب الفلسطيني، الذي كانت أعداده تتزايد كل عام بفضل توافد طلاب غزة لمواصلة التعليم الجامعي في مصر.

ومن بين أولئك الشباب كان عبد العزيز عودة، وإبراهيم المقادمة، وخميس أبو ندى، ومحمد محسن، وإسماعيل أبو شنب، وبشير نافع، وأحمد يوسف صالح، ومحمد المزين، وعيسى الأسمر، ومحمد الهندي، وكمالين شعث، وفرج الغول، وعماد العلمي، ومفيد المخللاتي، وعمر فروانة، وعصام السراج، وفتحي الشقاقي، الذي قدِم إلى جامعة الزقازيق بعد أن أنهى دراسته في جامعة بيرزيت في الضفة الغربية، وعمل بالتدريس في القدس. وعلى ذلك فقد وصل إلى مصر متأخراً ثلاث سنوات عن أقرانه.

احتكاك مع الجميع:

سمحت الدراسة في مصر بالاختلاط والاحتكاك بمختلف التيارات السياسية الفلسطينية، خصوصاً حركة فتح، والجبهة الشعبية. وخلال تلك الفترة زار موسى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سورية ولبنان، وأمضى عدة أشهر في مخيم اليرموك قرب دمشق، وفي حي الطريق الجديدة في بيروت، حيث كانت تتمركز مكاتب فصائل الثورة الفلسطينية.

وكان خلال هذه الجولات يطّلع عن كثب على مشاكل الشعب الفلسطيني وطبيعة ممارسات السلطات اللبنانية مع الفلسطينيين. كما كان يعمل بنشاط في توسيع التنظيم الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين. وعندما كان الأعضاء الجُدد من الطلاب يعودون إلى قطاع غزة والضفة الغربية، كانوا يواصلون العمل في تنظيم الجماعة هناك. وقد نما التنظيم الطلابي لجماعة الإخوان المسلمين، وأصبح يضم المئات من الطلاب، مع أن حركة فتح في ذلك الوقت كانت في أوج انتشارها. وكانت السياسة المصرية ضدّ الجبهتين: الشعبية والديموقراطية، بل ضدّ أيّ تنظيم خلا فتح، وكثيراً ما كان يرحّل أعضاء التنظيمين من الطلاب. بل إنّ

تنظيم الإخوان الطلابي كان هو الأكبر من حيث التنظيم والالتزام... وكان لتنظيم فتح الحرية في العمل بين الطلاب وفتح مكاتب وأنشطة في القاهرة، كما يقول أبو مرزوق، أما تنظيم الإخوان المسلمين الفلسطيني فقد كان يضم 20% من الطلاب الفلسطينيين في كلية الطب المقبولين في جامعة القاهرة على سبيل المثال، ويؤكد على أن الكم والكيف (العدد والنوعية) كانا متميّزَين. ولدى عودة هؤلاء الطلاب، خصوصاً إلى قطاع غزة، كانوا يشاركون في النقابات والجمعيات والمؤسسات، وتأسيس مؤسسات جديدة، بعد أن كان القطاع خالياً من العنصر الإخواني النقابي.

إعادةُ البناء:

ونظراً لعدم وجود تنظيم لجماعة الإخوان المسلمين في مصر في ذلك الوقت، فقد أصبح تنظيم الجماعة الفلسطيني الطلابي سابقاً لعودة جماعة الإخوان في القاهرة.

في البداية تمّ تشكيل مكتب إداري لقيادة الجماعة في القطاع، تبعته مكاتب فرعية، ثم تطوّر الأمر إلى تشكيل مجلس للشورى ينبثق عنه مكتب إداري تنفيذي، ومناطق تنظيمية في مدن ومخيمات القطاع.

أما في الضفة الغربية، فقد كان التنظيم ضعيفاً بعد الاحتلال، كما كان بناء التنظيم أكثر صعوبة. ولم يكُن هناك أيّ اتصال بين تنظيم الجماعة في قطاع غزة الذي كانت مرجعيته في القاهرة قبل سنة 1967، وبين تنظيم الجماعة في الضفة الغربية الذي كانت مرجعيته في عمّان. ويقرر أبو مرزوق ثلاثة أسباب لضعف التنظيم في الضفة الغربية هي:

أولاً: خروج أعداد كبيرة من أعضاء التنظيم من الضفة الغربية بعد الاحتلال.

ثانياً: عدم وجود هيكل تنظيمي مستقل بسبب تبعيته لقيادة الجماعة في الأردن، وبعد الاحتلال تمّ اعتبار أهلنا في الضفة كأنهم أسرى.

ثالثاً: اتساع مساحة الضفة الغربية وصعوبة التواصل مقارنة بقطاع غزة.

غير أن أبو مرزوق يغفل عن ذكر عامل مهم آخر، هو التاريخ الصدامي بين جماعة الإخوان المسلمين في الأردن ومجمل فصائل الحركة الوطنية والقومية واليسارية.

بداية الاتصال بين تنظيمي الجماعة في كل من قطاع غزة والضفة الغربية كانت عن طريق الوفود الزائرة وطلاب غزة الذين توجهوا للدراسة في جامعات الضفة، وتحديداً من خلال الشيخ سعيد بلال في منطقة نابلس. كما أنه كان هنالك دور للجامعات المصرية التي التقى فيها الطلاب الإخوان من الضفة والقطاع. وفي البدايات المبكرة لعبت الجامعات المصرية دوراً في تعزيز التنظيم بكوادر متميزة. واتّسع نطاق النشاط الدعوي بشكلٍ غير مسبوق.

ولذلك، يؤكد أبو مرزوق على أن التواجد في مصر كان بمثابة الخميرة التي أنضجت تنظيم الجماعة في الأراضي الفلسطينية. فقد جرى تأسيس تنظيم جديد، لا إعادة تأسيس تنظيم قائم، وأصبح تنظيم الجماعة داخل فلسطين موحّداً لأول مرة في تاريخه بقيادة واحدة ومسؤول واحد في أواخر السبعينيات، وكان أول مسؤول في قيادة الجماعة الأستاذ حسن القيق رحمه الله.

وفي الأساس، لم تكن مصر بعيدة عن بدايات الجماعة في فلسطين. ففي مصر تأسّس أول تنظيم لجماعة الإخوان المسلمين على يدي حسن البنا سنة 1928. ومن مصر خرج الدعاة إلى فلسطين وغيرها من أقطار العروبة والإسلام، وكان أبرزهم في فلسطين الشيخ حسين أحمد حسن الذي أقام في رفح المصرية بعد الهجرة، وكان في الأساس قد تمّ إيفاده إلى يافا. وظل مقيماً على حدود فلسطين بعد نكبة 1948، وتزوج من امرأة فاضلة فلسطينية من عائلة الفرا. وبعد سنة 1948 ارتبط بالإخوان المسلمين في قطاع غزة.

الدعاة الذين أرسلهم البنا حملوا رسائل لمختلف أنحاء العالم الإسلامي وقياداته، وأسفرت مهماتهم عن إنشاء شُعَب لتنظيم الإخوان المسلمين في أكثر من قُطر، مثل: فلسطين، والأردن، وسورية، والعراق. وكانت هذه الشُعَب في

بداياتها مرتبطة بالمركز العام للجماعة في مصر. غير أن هذه التنظيمات تحوّلت إلى كيانات وتنظيمات مستقلة لاحقاً بعد المحنة التي واجهت الإخوان المسلمين في مصر أواسط الخمسينيات، وفي أعقاب المحاولة المزعومة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر سنة 1954، والتي ينفي الإخوان المسلمون تورُّطهم فيها، ويقولون إنها محاولة مزعومة، تمّ عقبها اعتقال المرشد العام حسن الهضيبي.

منهجٌ واحد واستقلال تنظيمي:

غير أن الاستقلال التنظيمي في الستينيات لم يؤثّر على وحدة المنهج والخط الفكري والسياسي الذي ظلّ واحداً في مختلف الأقطار. وفي غياب المرشد، شكّلت قيادة عامة لتنظيمات الإخوان المسلمين في مختلف الأقطار، كانت تتولى رسم وتحديد السياسات العامة، وتبادل المعلومات والخبرات التي تهم مختلف تنظيمات الإخوان. وتحوّلت هذه القيادة بعد خروج المرشد العام من السجن إلى مكتب الإرشاد الذي ما يزال قائماً حتى الآن، ويتشكّل من عددٍ من قيادات الإخوان في مختلف الأقطار دون تقيُّد بجنسية واحدة. ويحدد هذا المكتب السياسات العامة، ومواقف الجماعة من مختلف القضايا الرئيسية، لكنه يترك لكل تنظيم حرية اتخاذ القرارات، والتعبير عن الأشكال المختلفة من العلاقات داخل القُطر الواحد. وبقيت أعمال تنظيمات الإخوان في أقطارها حسب الخريطة القُطرية مستقلة في خططها واستراتيجياتها وعلاقاتها مع الحكومات القُطرية، وهذا لا ينفي تشكيل مجلس شورى للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين، الذي أصبح أبو مرزوق عضواً فيه بحكم مسؤوليته الإخوانية في الولايات المتحدة، وهو التنظيم الذي يقتصر وجوده على مكتب الإرشاد ومجلس الشورى، دون أن يمتد ذلك إلى إيجاد تنظيم عالمي واحد ممتد داخل الأقطار كوحدة تنظيمية عالمية واحدة، من هذه التنظيمات.

تمّ إنشاء التنظيم الفلسطيني من أبناء غزة وفلسطينيي الخارج عدا الأردن، وتمّ إقرار لائحته الأساسية وانتخاب مجلس الشورى الخاص به وقيادته التنفيذية، وكان معظم هذا التنظيم من الفلسطينيين في بلاد الخليج، ومن يسافر من الأردن إلى الخليج. ولم يلتحق بهذا التنظيم معظم فلسطينيو سورية، فقد

كانوا يتبعون تنظيم الإخوان السوريين، ولا فلسطينيي لبنان، فقد كانوا مندمجين مع الجماعة الإسلامية في لبنان، أما الضفة—حيث كانوا جزءاً من التنظيم الأردني—فقد كانت الاتصالات بين هذا التنظيم والإخوان في غزة ضعيفة، وإن كانت خدمات التنظيم الفلسطيني للإخوان في الأراضي المحتلة كبيرة وواضحة في الأُطر الاجتماعية والإنسانية والمنح الدراسية، وبشكل موازٍ، كان التنظيم في الأردن قد أنشأ لجنة فلسطين في الجماعة لمساعدة الإخوان في الداخل، والوقوف على خاصياتهم المختلفة وتلبيتها بالقدر المستطاع.

د. موسى أبو مرزوق مع أبيه وأخيه اللواء محمود

اللواء محمود أبو مرزوق ووالده الحاج محمد

Musa Abu Marzuq: A Life Journey

Memoirs of Seeking Refuge, Emigration and the Years of Struggle

هذا الكتاب

أن تولد لاجئاً، وأن تعيش مناضلاً، وأن يضعك الله سبحانه في مشهد الصدارة لقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، فهذه ملحمة ومشوار حياة فيه الكثير من التحديات، ويتطلب من القائد حكمة بالغة وصبراً جميلاً، للحفاظ على توازن المسيرة وتحقيق الأهداف.

في هذا الكتاب، استعراض لصفحات النشأة في المخيم، ثم سنوات الدراسة والعمل داخل الوطن وخارجه.

بلا شك، كانت المحطة الأهم في هذه السرديّة، هي سنوات العمل، ثم الاعتقال في أمريكا، على خلفية قيادة المكتب السياسي لحركة حماس.

عامان كان فيهما الكثير من الأحداث والمعاناة والفرص لإبراز القضية الفلسطينية، وتجسيد خطاب حماس السياسي كأحد أهم معادلات الصراع مع الاحتلال، وفضح جرائمه التي كانت أمريكا—بانحيازها لـ"إسرائيل"—تعمل على تعطيلها، وإفشال أي جهد دولي أو إنساني لنُصرة الفلسطينيين وقضيتهم.

هذا الكتاب يعرض الجزء الأول من الرواية، والتي ستكتمل تفاصيلها فيما هو قادم من أجزاء أخرى إن شاء الله.

ISBN 978-9953-572-82-6

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب: 14-5034 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت